قضايا المرأة السعودية كما تتجلى في رواية "بنات الرياض": دراسة تحليلية

محمد أشرف رضوي *
Email: ashrafrizvi22@gmail.com

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث قضايا المرأة في رواية "بنات الرياض" لرجاء بنت عبد الله الصانع. تعالج هذه الرواية قضايا اجتماعيةً عديدةً كقضية التعليم والتثقيف والإصلاح، وظاهرة التغيرات الاجتماعية. كما تتناول الفساد الاجتماعي والخلقي، وتشير إلى مواضيع اجتماعية هامة كالزواج والعنوسة والطلاق والجنس والجسد والتفكك الأسري، إلى جانب قضايا أخرى كتفسخ الشباب والشابات، والتغني بالحب والحياة، والتنديد بالظلم والاضطهاد ضد المرأة، وتتحدث عن القضايا التي تتعلق مباشرة بالمرأة السعودية وحياتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. سأتناول في هذا البحث المجتمع السعودي بإيجاز، لأن الحديث عن قضايا المرأة يصعب دون الحديث عن المجتمع الذي تعيش فيه، فكلاهما مرآة للآخر إلى حد كبير وأن المرأة هي النواة الأولى في تشكيل المجتمع، وتكوين الشخصيات، وإن فصل مشاكل المرأة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية أمر خاطئ.

كلمات مفتاحية: رجاء الصانع، بنات الرياض، قضايا المرأة، المجتمع السعودي.

Abstract:

This paper examines the issues of Saudi women in the novel "Girls of Riyadh" written by the Saudi novelist Rajaa Al-Sanea. This novel mainly deals with significant social issues affecting Saudi women such as archaic customs and traditions, women's education, social reforms, social and moral corruption and issues such as marriage, divorce, segregation, oppression, persecution against women, and their social, cultural and economic life. Rajaa Al-Sanea shook up the Saudi society with this novel, in which she exposed the hidden lives of young elite-class girls as she revealed their secret lives, dreams and desires, in the ultraconservative

* باحث الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

Islamic society of Riyadh. She also exposed the hypocrisy of a traditional society where women endure blatant injustice, double standards and restricted freedom throughout their lives. She offers unprecedented and realistic insights into the ordinary lives of young Saudi women. This study will shed light on the Saudi society in brief, because it is difficult to talk about women's issues without talking about the society in which they live.

مقدمة:

إن المملكة العربية السعودية مهبط الوحي ومنبع الرسالة النبوية، وهي من البداية ضد الاتجاهات والسياسات والأيديولوجيات المناهضة للإسلام والثقافة الإسلامية، وتتمسك بالأعراف والعادات والتقاليد، وتختلف كثيرا عن المجتمعات الأخرى بأسباب متعددة، وعلى رأسها التمسك بالعقائد الإسلامية والتعاليم الدينية السمحة، والقيم والمعايير الاجتماعية التي تلعب دورا فعّالا في السياسات الحكومية، والقضاء على النزعات الفكرية والعقائدية والطائفية والعصبية القبلية.

إنّ المرأة السعودية قد عانت كثيرا من المشاكل التي لاعلاقة لها بالدين الحنيف بقدر ما كانت بالعادات والأعراف والتقاليد البدوية والقبلية التي طبعت ببصماتها على وضعها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وقيدت قيمتها الإنسانية في نطاق ضيق، فكانت وظيفتها تنحصر ضمن نطاق المنزل وإدارته وتربية الأولاد وتأمين راحة الرجل. وحاول الرجل أن لا تخرج ابنة حواء عن نطاقها المحدد إلى أعمال أخرى مفيدة للبيت أو المجتمع، بل تبقى عضوا مقطوعا في المجتمع لاخدمة لها سوى خدمة البيت والرجل. و"قد كانت من قبل تحتل مركزا أدنى من ذلك، إذ كانت سلطة الزوج ظاهرة كثيرا، لأنّه يحتل المركز الأعلى في الأسرة بينما تحتل الزوجة المركز المتدني"[1].

تتمتع المرأة في الفترة المعاصرة بمركز اجتماعي وتقوم بأدوار ومهام متنوعة، حيث نبغ عدد من النساء في المملكة، وتمكّنت من التغلب على الصعوبات والمشاكل وتذليل العقبات التي اعترضت سبيلها نحو التقدم الحضاري والثقافي والمادي، وحصلت في غضون سنوات ماضية على مجموعة من الحقوق المنهوبة بعد اتخاذ القرارات العديدة من

[1] السيف، د. محمد بن إبراهيم، **المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي**، (المملكة العربية: دار الخريجي للنشر والتوزيع، ط3، 2003م)، ص:121.

قِبَل الحكومة السعودية التي منحت المرأة بعض حقوقها، وعلى رأسها: حق قيادة السيارة، واستخراج البطاقات الشخصية، والخوض في تجربة الانتخابات البلدية، والتعيين في مجلس الشورى، والدخول ملاعب رياضية وغيرها. و "يشهد المجتمع السعودي في السنوات الأخيرة مظاهر كانت تعتبر من المحظورات والمحرمات، بسبب العادات والتقاليد، وبسبب الفتاوى الدينية لبعض الشيوخ. وترتبط هذه المظاهر في معظمها بالمرأة المحرومة من حقوق أساسية تتمتع بها نظيراتها في دول الجوار"[2].

نبذة عن رجاء الصانع:

رجاء بنت عبد الله الصانع كاتبةً سعوديةً كانت محل النقد اللاذع بعد صدور رواية كتبتها وهي في الثامنة عشرة من عمرها، تعتبر شخصيتها الأكثر ضجة في الأوساط الثقافية والأدبية في المجتمع السعودي، نالت روايتها "بنات الرياض" هجوماً كبيراً من الأدباء والنقاد وخاصة رجال الدين، حتى وصل إلى منابر المساجد، لاتهامها بخدش الحياء وكشف الأسرار عن بنات الدولة الإسلامية. وليست الصانع طبيبة متفوقة في علاج الأعصاب في الأسنان بعلم الخلايا الجذعية فحسب بل هي روائية شابة طارت شهرتها في الآفاق.

ولدت الصانع في 11 سبتمبر عام 1982م-1402هـ في الكويت من أب وأم طبيبين، نشأت وترعرعت في مدينة الرياض، تعود جذورها إلى المجمعة في المنطقة الوسطى من المملكة[3]. تخرّجت من كلية الطب وحصلت على شهادة البكالوريوس في طب أسنان من جامعة الملك سعود عام 2005م، واستفادت من برنامج الملك عبد الله للابتعاث الخارجي، وحصلت على شهادة الماجستير من كلية الاختصاص في علاج العصب وجذور الأسنان، علوم الفم والخلايا الجذعية، من جامعة إلينوي في شيكاغو، عام 2008م، وحصلت على شهادة الأسنان من نفس الجامعة عام 2009م، وعملت فيها كأستاذة مساعدة بين عامي 2008 – 2010م، ونالت الزمالة الملكية الكندية في علاج العصب

[2] الجزيرة، **"محرمات" تحولت إلى مباحات في السعودية**، تاريخ النشر: 28 سبتمبر 2017م، تاريخ الزيارة: 31 يناير 2019م، متاح على: https://www.aljazeera.net

[3] فقندش، علي أحمد، **نساء من المملكة العربية السعودية**، (المملكة العربية السعودية: وديان عدنان قطان، ط1، 2006م)، ج1، ص: 106.

والجذور في عام 2010م، وهي استشارية في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث بالرياض. حازت على الجائزة السنوية لجامعة إلينوي الأمريكية عن إنجازاتها البحثية الممتازة في علم الخلايا الجذعية وعلاج الأعصاب، بعد أن تميزت في عالم الأدب[4]، كما فازت بجائزة العظماء والمخترعين من قبل جامعة إلينوي.

رجاء الصانع واحدة من أشهر بنات جيلها في فن الرواية في المملكة العربية، صدرت روايتها عن دار الساقي ببيروت، في حدود 319 صفحة، وكانت أولى طبعاتها عام 2005م، وتُرجمت إلى حوالي أربعين لغة عالمية. تعرضت الكاتبة لضغوط كثيرة، ومنعتها الحكومة من النشر والتوزيع في المملكة بتهمة تشويه صورة المجتمع السعودي، وبما تحكي أحداثاً وتفاصيل سريّة عن الحريّة والحب في حياة أربع فتيات سعوديات. قدم الأديب العملاق والدبلوماسي والوزير الدكتور غازي القصيبي للرواية وكتب: "في عملها الروائي الأول، تقدم رجاء الصانع على مغامرة كبرى: تزيح الستار العميق الذي يختفي خلفه عالم الفتيات المثير في الرياض. وعندما يُزاح الستار ينجلي أمامنا المشهد بكل ما فيه من أشياء كثيرة، مضحكة ومبكية، بكل التفاصيل التي لا يعرفها مخلوق خارج هذا العالم الساحر المسحور. هذا عمل يستحق أن يُقرأ... وهذه روائية أنتظر منها الكثير"[5].

عنوان الرواية مأخوذ من أغنية الفنان عبد المجيد عبد الله "يا بنات الرياض... يا بنات الرياض... ياجوهرات العمايم... ارحموا ذا القتيل. وعنوان الموقع الإلكتروني "سيرة وانفضحت" تحريف لعنوان البرنامج التليفزيوني اللبناني "سيرة وانفتحت". مقدمات الرسائل حافلة بالدعابة والسخرية، تُكثر الروائية من الاستشهاد لكتّاب عرب وأجانب في بداية كل رسالة، وتختار لرسائلها عنوانا وتمهيدا مقتبسا من كتب الفلاسفة القدماء والمحدثين من أمثال سقراط، وأرسطو، وطاغور، وبرناردشو، ونزار قباني، والقصيبي، وإبراهيم ناجي، وت. س. إليوت، وأوسكار وايلد، وإليزابيث براوننج،

[4] وهبة، أسماء، **رجاء الصانع: بعد مشاكل "بنات الرياض" رواية عن الربيع العربي**، تاريخ النشر: 27 مايو 2015م، تاريخ الزيارة: 20 يناير 2019م، متاح على: www.sayidaty.net

[5] المحرر الثقافي، **بنات الرياض لرجاء الصانع.. رواية تكشف عالم الفتيات المثير في الرياض**، جريدة الرياض، العدد: 13609، تاريخ النشر: 27 سبتمبر 2005م، تاريخ الزيارة: 19 يونيو 2018م.

وأنيس منصور، إضافة إلى أغاني متنوعة وقصائد شتى، مع ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأقوال المأثورة والأشعار العربية والمترجمة. وتبرر ذلك ردًا على رسائل القراء بأن الآيات والأحاديث والاقتباسات الدينية التي توردها في إيميلاتها تلهمها، والمقولات المشهورة والأغاني التي تحتويها رسائلها تلهمها[6]، وتشهد على أزمة المرأة السعودية.

ترسل الساردة قصتها باسم فتاة مجهولة كل يوم جمعة عبر إيميل على موقع البريد الإلكتروني ياهو إلى معظم مستخدمي الإنترنت في المملكة، وتكشف فيها عن عالم صديقاتها السري على مدار عام، في خمسين رسالة، وتجارب أربع فتيات، كل رسالة تحمل في طياتها أزمة من نوع خاص، ومن خلف شاشة الكمبيوتر. تدور أحداث الرواية حول قصص أربع صديقاتٍ وطالبات سعوديات يقمن في مدينة الرياض، والخبر وجدة، ويواجهن المواقف الصعبة في مشوار بحثهن عن فارس الأحلام، تنتمي البطلات الأربع قمرة القصمنجي وسديم الحريملي وليس جداوي وميشيل العبد الرحمن، إلى الطبقة الراقية من طبقات المجتمع السعودي، التي لا يعرف عادة أخبارها إلا من ينتمي إليها.

تبدأ الرواية بقول الله سبحانه وتعالى: " إِنّ اللّهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ " (الرعد:11)، وتقول الساردة: "سيداتي آنساتي سادتي... أنتم على موعد مع أكبر الفضائح المحلية، وأصخب السهرات الشبابية. محدثكم، موا، تنقلكم إلى عالم هو أقرب لكل منكم ممّا يصوره له الخيال. هو واقع نعيشه ولا نعيش فيه، نؤمن بما نستسيغ الإيمان به منه ونكفر بالباقي. لكل من هم فوق الثامنة عشرة، وفي بعض البلدان الحادية والعشرين، أما عندنا فبعد السادسة (لا أعني السادسة عشرة) للرجال وسن اليأس للفتيات. لكل من يجد في نفسه الجرأة الكافية لقراءة الحقيقة عارية على صفحات الإنترنت، والمثابرة المطلوبة للحصول على تلك الحقيقة، مع الصبر اللازم لمسايرتي في هذه التجربة المجنونة"[7].

[6] الصانع، رجاء بنت عبدالله، **بنات الرياض،** (النسخة الإلكترونية، الإعداد: محمد أمجد قاسم) ص: 80.

[7] المرجع نفسه، ص: 2.

القضايا المطروحة في الرواية:

تتناول الروايةُ العديدَ من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والصحية التي تتعلق بحياة المرأة السعودية، ولا تتماشى مع روح العصر الحديث والسياسات التي تبنتها الدولة الإسلامية منذ توحيد كيانها، رغم أنها لا تزال تعمل على تمكين المرأة في المجالات العلمية والعملية.

الزواج والعنوسة:

تعد مشكلة الزواج من أهم القضايا الاجتماعية التي أبرزتها الكاتبة بذكر قصة سديم التي تدعو خطيبها وليد للسهر في بيتها دون علم والدها، وتسمح له بالتمادي معها ولا تحاول صده، وهو يتجاوز الخطوط الحمراء، لكنه ينصرف هو حائراً ومتوتراً ولا يعود ولا يهاتف، فتفكر هي، هل جُنّ وليد؟ أو أخطأت هي وسلمته نفسها قبل الزواج؟ لكنه أليس زوجها شرعاً منذ يوم عقد القران؟ أم أن الزواج هو الشيء الآخر، مع أنها سمعت قصصاً كثيرة عن فتيات قمن بمثل ما قامت به في فترة الملكة وقبل الزفاف! بل كثيرات منهن ينجبن أطفالاً بعد العرس بسبعة أشهر فلا يكترث سوى من يلاحظ مثل هذه الأمور. فأين الخطأ؟ ومن يحدد لها الخط الفاصل الدقيق بين ما يصح وما لا يصح فعله؟ وهل الخط الفاصل في الإسلام هو نفس الخط المرسوم في عقل الشاب السعودي؟ ومن يشرح لها سيكولوجية الشاب السعودي حتى تتمكن من الفهم!"[8].

تشير تجربة الصديقات الأربع إلى أن الزواج في المجتمع السعودي لا يتحكم فيه الشباب، لأن الأمر ليس بيده، وإنما تجري الأمور وفق نظام الأعراف والتقاليد، والظروف أقوى من الشباب، والأمر كله بيد العائلة، كما توضح قصة ميشيل التي يتخلى عنها فيصل بعد ربط علاقة قوية لمدة طويلة، لأن أسرته لاتؤيد فكرة الزواج من فتاة أمها لا تنتمي من بيئة سعودية، وأمه تريد دوما تزويج أبنائها من فتاة من وسطهم "عندما سمعت الأم أنّ أم الفتاة أمريكية قررت أن تقف لباب هذا النقاش العقيم حول هذه المهزلة إلى غير رجعة"[9]. يتحدث فيصل عن عدد محاسن الفتاة; فتاة متعلمة ومهذبة

[8] المرجع نفسه، ص: 18.

[9] المرجع نفسه، ص: 56.

وطالبة جامعية، ومتحضرة ليست قروية مثل البنات السابقات. لكن حدثيه عن هذه الأشياء لاتهمها، تتناول الأم أدويتها التي إن لم تكن تنفع فهي لا تضر، تذرف دموعاً كثيرة، وتتحدث عن طموحاتها الكبيرة في تزويج ابنها الأصغر من أحسن البنات، وإهدائه أحسن سيارة وأحسن منزل. يبكى فيصل اليائس بكاء حارا على حبه، تحت قدمي أمه الغالية التي لا تخضع لرغبته. ويتم تزويجه قسريا من فتاة لا يحبها[10]. تشير هذه القصة إلى مشكلة الشبان الذين تجبرهم عائلاتهم على الزواج ممن لايرغبون فيها، وفي نهاية المطاف يؤدي الزواج القسري إلى الطلاق.

لا تزال البنات يزوجن بدون موافقتهن في صفقات مستبدة من قبل الأب والأخ والولي، والضحية الوحيدة هي البنت، بدون إمكانها أن تلجأ إلى المحكمة لتمنع زواجها ممن لا ترغب فيه. كما تجد ميشيل أن جهودها ذهبت أدراج الرياح مرتين، فمرة رفضت أسرتها ارتباطها بماتي ابن خالتها الأمريكية، ورفض أهل السعودية ارتباط أحد أبنائهم بها، في المرة الأولى تم نفيها إلى أمريكا برغبتها، والمرة الثانية هاجرت رغما عنها إلى دبي، يبدو لها كل شيء في حياتها ممتازًا فيما عدا مسألة الزواج[11]. وبعد زواج صديقها تجد نفسها مجبرة على قبول الزواج من الشاب الإماراتي، فهناك كثير من الأزواج والزوجات في هذا المجتمع الذين يخفون تحت ابتساماتهم قلوباً دامية ونفوساً مغبون حقها في اختيار شريك الحياة[12]. وكذلك قصة قمرة المطلقة التي يزور بيتها عقيد في الجيش في السادسة والأربعين من عمره، وخالها يرشح له ابنة أخته وهو يظن نفسه باراً بها بفعلته تلك. وأمها تدفعها دفعاً لمقابلته، ولا يفكر أحد أن يشاور صاحبة الشأن الجالسة إلى جانبهم كلوح من الخشب[13]. تشعر المرأة بعد الطلاق بانتهاء صلاحيتها وقدراتها، وبأنها لم تعد نافعة في شيء، فكل ما تريده وتبذل جهودها للحصول عليه هو رجل كيفما كان لونه وشكله ونوعه[14].

---

[10] المرجع نفسه، ص: 56.

[11] المرجع نفسه، ص: 140.

[12] المرجع نفسه، ص: 153.

[13] المرجع نفسه، ص: 108.

[14] المرجع نفسه، ص: 135.

كما تعالج الرواية قضية فحص سجلات المكالمات الهاتفية قبل الزواج وعقد القران كما تقول سديم: "كنت خبلة وعلى نياتي، وإلا واحد يجي يقول لي في الملكة أنه راقب كل تليفونات البيت الثابتة والنقالة قبل ما يخطبني، وفحص سجلات المكالمات الصادرة والواردة لمدة 7 أشهر قبل الخطوبة، وأنا بكل غباء أقول له الحمد لله أني نجحت بالامتحان"[15]. وكذلك قد يكف رجل عن الاتصال باستخدام هاتفه الخاص ويتصل بواسطة البطاقات المسبقة الدفع حتى لا يكتشف أهل خطيبته ما بينه وبين فتاة من علاقة إذا ما حاولوا مراجعة فواتير هاتفه الخاص.

تعالج الرواية قضية ارتفاع نسبة العنوسة في صفوف الفتيات بخصوص الطبيبات اللواتي يتأخر زواجهن معظم الأحيان، وهذا قد اعتاد المجتمع عليه، حتى أصبح من المستغرب والمستهجن تزويج طالبة الطب صغيرة، ولذا كل من تريد من الفتيات أن تعنس دون أن تلقب بعانسة، تدرس الطب، لأن الأبصار مغضوضة عن طالبات الطب، أما طالبات أخريات من الكليات الأخرى وكل من لا تلتحق بأية كلية وجامعة، فترفع إليهن أصابع الاتهام بالعنوسة بمجرد بلوغهن العشرين[16]. وتقدم القصة نماذج ازدواجية المعايير والقيم وصورة الواقع المؤلم عن المجتمع، وتؤكد أنّ المرأة هي الضعيفة داخل مجتمع ذي ثقافة ذكورية، ولا فرق بين المرأة المثقفة وغيرها، فيرتفع معدل العنوسة بأكبر قدر بين الفتيات المتعلمات، حيث يدور سؤال في ذهن سديم حول ثقافة المرأة، فتطرحه على صديقتها قمرة وأم نوير لكنهما تحتاران معها ولا تجدان جواباً له، تسأل سديم هل تعد ثقافة المرأة نعمة أم نقمة؟ فإنها تلاحظ أن الحياة رغم التطورات وارتقاء المفاهيم مازال الإقبال على الفتاة الساذجة والصغيرة مرتفعاً عند البحث عن عروس مناسبة، مقارنة بالإقبال الضعيف على الفتاة التي تبلغ درجة عالية من العلم والمعرفة والتجارب والاطلاع العام على الحياة.

توضح مشكلة عنوسة الطبيبات هذا الأمر، لأن "الرجل الشرقي بالذات غيور بطبعه ويشعر بالخطر عند مواجهة أنثى تشكل تحديا لقدراته، ولذلك فإنه يفضل زوجته أن

[15] المرجع نفسه، ص: 95.

[16] المرجع نفسه، ص: 99.

تكون متواضعة التعليم مهيضة الجناح وعديمة التجربة، حتى يكون له مكانة المعلم الأول في نفسها والذي يقوم بتشكيل تلميذته حسبما يريد، وإن كان كثير من الرجال يعجبون بالمرأة القوية، إلا أنّهم لا يتزوجون منها! هكذا أصبحت الفتاة الساذجة مطلوبة وقيدت (الفاهمة) على لائحة العوانس التي تطول مع الأيام وفقاً لمتطلبات الشاب الذي لا يعرف ما يريد، ويرفض بناءً على ذلك الارتباط بفتاة، تعرف تماما ماذا تريد"[17].

العنف والاضطهاد ضد المرأة:

تتعرض المرأة للعنف والاضطهاد والمهانة والذل، وتشير إلى ذلك قصة قمرة التي تواجه الأنواع المختلفة من الظلم والعنف منذ يوم زواجها حتى طلاقها منه[18]. لكنها تحب زوجها رغم ما تواجه من قسوة وغلظة ونفور، بكونه أول رجل تختلط به من خارج وسط محارمها، لكن الشك يغزو قلبها من ناحيته ويقلق منامها ويقضّ مضجعها ويجعل أيامها سوداء بسواد أفكارها[19]. حيث يثور عليها زوجها أحيانا لأسباب تراها تافهة، فتقول: "أليس جميع رجال نجد كذلك؟ لا تظنه مختلفاً عن أبيها وإخوتها وعمومتها وخالها وأبنائهم. كان هذا هو طبعه، وهذا ما كان يصبرها"[20].

تتطرق الرواية بدقة وإطناب إلى العنف والظلم اللذين يمارسهما رجل على إمرأة، هو تحميلها وحدها عبء الأعمال المنزلية ورعاية الأسرة، مع أن العمل المنزلي مرهق جدا، وتربى الفتاة في المجتمع العربي منذ نعومة أظفارها على خدمة أفراد الأسرة، فتعمل جاهدة في سبيل أن تكون على أعلى مستوى من الكفاءة والأهلية بأعمالها المنزلية، وتقضي معظم وقتها في العمل والطبخ، كي لا يثور عليها الزوج إذا لم يكن غداؤه جاهزا، "ظل يثيرها في أمور من هذا القبيل كل يوم، ومع ذلك فالويل لها إن نسيت تجهيز ثيابه كل مساء، وكيها قبل أن يستيقظ من نومه كل صباح، ولا يحق لها أن تطالبه بمساعدة في ترتيب المنزل أو إعداد الطعام أوغسل الصحون"[21]. تتحدث الساردة

[17] المرجع نفسه، ص: 141.
[18] المرجع نفسه، ص: 29.
[19] المرجع نفسه، ص: 29.
[20] المرجع نفسه، ص: 45.
[21] المرجع نفسه، ص: 45.

عبر صفحات الرواية عن المعاناة التي تواجهها المرأة. كما تتحدث قمرة عن مشاكل أختها حصة التي تم تزويجها قبلها بسنة بخالد الذي يبدو أثناء فترة الملكة في غاية الرقة والدماثة، ويتحول بعد الزواج إلى شخص آخر، فلا يعبأ بها ولا يلتفت لرغباتها، وهي تشكو دوماً لأمها من إهماله لها، لكنّه لا يهتم بها ولا يذهب بها إلى الطبيب عندما تصاب بالمرض أثناء حملها، وتذهب هي مع والدتها لمتابعة تطورات الحمل، ويبخل عليها في حين لا يبخل بأي شيء على نفسه، فلا يعطيها مصروفا شهريا إلا عندما تلح في الطلب حتى تشعر بالذل والمهانة[22].

تشير قصة قمرة وأختها حصة إلى أن المرأة التي تتعرض للعنف والاعتداء لا تتصل بالجهات الأمنية مع أنها لا تشعر بالأمن في بيت زوجها أو بيت والدها، وتشعر بالخجل والخوف مما يفعله بها الزوج والأسرة، ويتولد لديها الشعور بالظلم والخوف من الطلاق والعار من المجتمع، وتتحمل نفسها مسؤولية العنف الذي يمارسه الرجل ضدها. وعدم مساعدة الأسرة لها تمنعها من الإفصاح عن العنف الذي تتعرض له يوميا، حتى تقل مقاومتها. "كل شيء كان قاسيا عليها، راشد، ونظرة المجتمع، وأمها وحصة، وزوج حصة، وموضي، وصديقاتها! الكل يستضعفها ويعيب تفاهتها وتخلفها... يا لها من حياة قاسية أخذت منها كل شيء ولم تمنحها شيئا في المقابل"[23].

عمل المرأة في البيت وخارجه:

تعالج رواية الصانع قضية وظيفة المرأة، ونجد عبر صفحاتها نماذج عمل المرأة وخوضها في الوظائف المتنوعة، ولا يجادل أحد في أن العصر الحديث يشهد ارتفاع رغبة المرأة السعودية في تأكيد ذاتها واستقلاليتها وحريتها في الكيان الاجتماعي والثقافي، وخاصة الاقتصادي، فقد حققت ولا تزال تحقق الإنجازات في معظم المجالات العلمية والعملية وتساهم في تنمية الدولة وتشارك في ارتفاع دخل الأسرة ورفع المستوى الاقتصادي وتعمل على إعالة نفسها، فأسرة قمرة تعارض خروجها لقضاء المهام وحدها في البداية إلا أنها تتساهل معها بعد ملاحظة جديتها وخاصة عندما تسلّم أول ربح

[22] المرجع نفسه، ص: 58.

[23] المرجع نفسه، ص: 100.

تحصل عليها من ترتيب الحفلات وتنظيم الأعراس إلى يد والدها الذي يقتنع أخيرا بعمل ابنته[24].

الحجاب والسفور والاختلاط بين الجنسين:

تتناول الصانع قضية الحجاب والسفور والاختلاط بين الجنسين داخل المملكة وخارجها وتتحدث على لسان الساردة عن مدى كراهيتها للمجتمع السعودي واستهزائها لتقاليده الصارمة وأعرافه البالية وبما يفرضه على المرأة من قيود متنوعة، ويمنح الرجال مجالا أوسع وأكبر للتمتع بالحرية. ينفذ المجتمع السعودي حكم منع الاختلاط بين الجنسين بصرامة، وهو مُحرّم في معظم المجالات، لكنه متوفر في المؤسسات التعليمية وخاصة في كليات الطب بحد ما. وكل من توجد برفقة رجل تُعاقب عليها وعليه ويتعهّد ذووها بالتّحفظ عليها. هذا الكبت الشديد تُقابله الفتاة وتواجهه بالتعليقات المنتقدة والساخرة في المجالس النسائية في البيوت، لأنه "كان حلم الاختلاط بالشباب حلماً كبيرًا بالنسبة لكثير من الطالبات والطلاب"[25]. وتشير القصة أيضًا إلى ازدواجية المعايير للسعوديين كما تشهد ميشيل التي تزور لوس إنجلس مع ابن خالتها وتلاحظ في مطعم بيبلوس تواجد السعوديين بكثرة بصحبة صديقات هنديات وإيرانيات. ومع أن السعوديين كانوا يتمتعون بالصديقات الأجنبيات ويختلطون بهن دون خوف أو خجل بعيدين عن أحكام البلاد، كانوا يشكون بكونها سعودية بسبب ملامحها ويستغربون وجودها مع شاب أمريكي، وهذا أمر مدهش[26].

أما قضية الحجاب والسفور فيجب على المرأة أن تلبس الحجاب في كافة شؤون المجالات، في داخل المجتمع وخارجه، لكن نجد من خلال الأحداث استهجان الساردة عنه، وهي تصف المجتمع السعودي بالمجتمع المريض، والمجتمع الذي يعامل المرأة كالبهائم، والمجتمع المتزمت حيث يتدخل الجميع في شؤون الجميع، ومجتمع معجون بالتناقضات لما تتقبل تناقضات وازدواجية القيم والمعايير، فالرجال والنساء من المملكة،

[24] المرجع نفسه، ص: 134.

[25] المرجع نفسه، ص: 27.

[26] المرجع نفسه، ص: 93.

يستخدمون الملابس الشرعية حين تواجدهم داخل المملكة، لكنهم يخضعون لثقافات أجنبية عندما يزورون الدول الأخرى وخاصة الدول الغربية: "قبل هبوط الطائرة في مطار هيثرو، توجهت سديم نحو حمام الطائرة وقامت بنزع عباءتها وغطاء شعرها لتكشف عن جسم متناسق يلفانه الجينز والتي شيرت الضيقان"[27]. وتخلع ملابسها التقليدية بمجرد دخولها الطائرة في طريقها إلى خارج البلاد وترتدي الملابس المقبولة في المجتمع الأوروبي، وتتزيّن بأفخر وأغلى الحلي والعطور. "بعدما أطفئت إشارة ربط الأحزمة، توجهت سديم كعادتها في كل رحلة دولية إلى حمام الطائرة لارتداء عباءتها، فهي تكره أن تفعل ذلك قبل هبوط الطائرة على أرض المملكة بقليل، عندما تصطف النساء والرجال صفوفاً أمام أبواب الحمامات لارتداء الزي الرسمي، فترتدي النسوة عباءاتهن وأغطية شعرهن ونقاباتهن"[28].

قضية الطلاق:

تصوّر الرواية من خلال الأحداث التجارب القاسية وتبرز مدى ما تعانيه المطلَّقة من اضطراب نفسي وقيود وتكبل حرية في المجتمع الذي يجعلها ورقة في مهب الريح لا سلطة لها على حياتها وقدرة على تنفيذ اختياراتها، والقصة تلقي الضوء على طلاق أم نوير من زوجها، وطلاق قمرة من راشد، ومصير المرأة المطلقة التي لها أولاد من الزواج السابق. ومن السهل طلاق المرأة، فقد يطلِّق واحد زوجته دون سبب بعض الأحيان وعلى أتفه الأسباب معظم الأحيان، وأزمة العلاقة الزوجية تضع المرأة في حيص وبيص من أمورها، فواحد يطلِّق امرأته لأنّها لا تجاوب في الفراش بالشكل الذي يريده ويثيره، ويطلِّق ثاني لأنها لا تخفي عنه تجاوبها معه، والمرأة لا تعرف هل عليها أن تخفي تجاوبها أو تعبر عنه مع زوجها.

ظلت سديم لأسابيع طويلة تحلم بأن يراجعها زوجها، مركونة في بيت والدها كقطعة أثاث قديمة في مخزن الخردوات، وتعاني من اكتئاب حاد بعد قرارها بعدم إجهاض الحمل الذي بدأ يتحكم في حياتها حتى قبل الولادة، ولأنها سمعت دوما من قريباتها

[27] المرجع نفسه، ص: 35.

[28] المرجع نفسه، ص: 68.

وأمها أنّ الحمل هو الطريقة الأضمن لاستمرار الحياة الزوجية فقط، استمرارها فقط ولا نجاحها في السعودية، لايريد الرجل المطلّق نفسه أن يتزوج بفتاة مطلَّقة، "ويدور هو على بنت ما تكون تزوجت قبله، تبغين هذا يقتنع بمطلقة؟... يبغي لي واحدة تشرّفني اسم وشكل ونسب ومركز اجتماعي وفلوس! ما آخذ واحدة معيوبة (مطلقة) علشان الناس تأكلني بألسنتها!"[29]. وتشتمل الرسائل الكثيرة التي ترسل إلى الساردة على قدح في أم نوير، وذم أهالي الصديقات لسماح بناتهم بالتردد على منزل امرأة مطلقة وحيدة. إذ المجتمع يعتبر الطلاق كبيرة من الكبائر ترتكبها المرأة دون الرجل، ولا يضطهد الرجل المطلق في هذا المجتمع كاضطهاد المرأة المطلقة. ولا تحمي المطلقات من النظرة الفوقية التي يتصدق بها المجتمع عليهن، بينما يعيش الرجال المطلقون حياتهم دون معاناة أو رقابة اجتماعية[30].

تعدد الزوجات:

تسلط الروائية الضوء على قضية تعدد الزوجات، لكنها لا تعلن عن موقفها وحكمها من هذه القضية، فتكتفي بالتلميح دون التصريح، رغم أنها تحرص على دفاع عن حقوق المرأة، ومن الممكن أن تكون هذه قضية عادية في المجتمع، ولذا لا توجه السادرة أي انتقاد لهذه. وفي مكان تتحدث عن إحدى الطالبات تدرس في الجامعة، وتكرر في كل حين أنها تبحث بين زميلاتها عن عروس لزوجها الذي تزوجت منه قبل سنة واحدة لتخطبها له بنفسها![31]. وكما ورد: "يعني أنا ما عندي أيّ مشاكل مع تعدد الزوجات بعد كل هذا التدريب"[32]. الرجال لا يجدون أي مشكلة في تعدد الزوجات، ولا فرق في هذا الأمر بين المثقف والجاهل، والقضية شائعة ومقبولة ولا تحتاج إلى انتقاد.

الحرية والعدل:

يجوز في المجتمع المحافظ للأب والولي والأسرة أن يمنع المرأة من العمل والزواج، ويمنعها من ممارسة أي نشاط اجتماعي واقتصادي وسياسي، دون النظر إلى ما يدعو إليه

[29] المرجع نفسه، ص: 103.
[30] المرجع نفسه، ص: 98.
[31] المرجع نفسه، ص: 25.
[32] المرجع نفسه، ص: 69.

دستور الحرية والعدالة والمساواة لكل مواطن بغض النظر عن جنسه، كما تجد الصديقات الأربع دوماً فرصة مميزة والمكان الآمن والفضاء الأنسب والمتنفس الوحيد في منزل أم نوير لممارسة الحرية والحب التي تعجز عن ممارستها في منزل أي منهن، تشعر الشابات بنفسها مقصورة في الخيام وممنوعة من أشياء كثيرة متاحة ومباحة لمثيلاتها في الدول المجاورة[33]. والفتاة عاجزة عن فهم أبعاد مشكلة تصيب بنفسية الرجل السعودي، فقد يحب الفتاة بصدق عنيف، لكنها بسبب ضعفها تخضع لقرارات الأسرة التي تشل قرار أفراده و "عليها إما أن تتقبل تناقضاته وتخضع لها أو أن تغادره للعيش في مجتمع أكثر تحررا يضمن لأفراده حياة أكثر استقلالية"[34]. وتحزم أمتعتها وترحل عن هذه الدولة التي تسوس أفراده كالبهائم. وهي لن ترضى لنفسها أن يملي أحد عليها ما يجب فعله وعدمه لأنها هي حياتها وحدها وتحرص على أن تعيشها بالطريقة التي تحلو لها فقط[35].

خلاصة البحث:

تتحدث الروائية عن حقوق المرأة، وحريتها وقيود الدين والأوضاع الاجتماعية وسلبيات الأعراف والتقاليد الجائرة وفلسفة العلاقة بين الجنسين، وترغب في أن تكون المرأة أقوى وأشرس في الدفاع عن حقوقها وعدم تقديم تنازلات في حق الذات، وتركّز كثيرا على خصوصية المرأة وكينونتها باعتبارها أما وبنتا ومعشوقة وزوجة، ومن ثم، تدافع عن حقوقها في الحصول على التعليم، والحرية في اختيار شريك حياتها، وتناضل من أجل تثقيفها وتنويرها وتوظيفها، ورصد معاناتها المأساوية وإشكالية الذات الأنثوية في صراعها مع الآخر، وتتناول أيضا هوية الجسد وغواية الفتنة والجنس. وتتطرق إلى مواضيع الزواج والعنوسة والطلاق والبنوة والحجاب وقضية المرأة المثقفة ومكانتها في المجتمع المحافظ.

[33] المرجع نفسه، ص: 12.

[34] المرجع نفسه، ص: 66.

[35] المرجع نفسه، ص: 67.

المصادر والمراجع:

- السيف، د. محمد بن إبراهيم، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، المملكة العربية السعودية: دار الخريجي للنشر والتوزيع، ط3، 2003م.
- الصانع، رجاء بنت عبد الله، بنات الرياض، النسخة الإلكترونية، الإعداد: محمد أمجد قاسم.
- فقندش، علي أحمد، نساء من المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية: وديان عدنان قطان، ط1، ج1، 2006م.

المواقع الإلكترونية:

- www.aljazeera.net
- www.drmoiz.com
- www.sayidaty.net